13me Année No. 611

Lundi - 19 - 3 - 1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ ص في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦١١ « القاهرة في يوم الإثنين ٤ ربيع الآخر سنة ١٣٦٤ — ١٩ مارس سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

ســـؤالان وجوابان

للأستاذ عباس محمود العقاد

كتب إلى الأديب « علي الشوكاني » في البصرة يقول :

« كنت أقرأ المقدمة الممتعة التي صدر بها المستر هـ . ج ولز كتاب المستر فرانك سوزرتن فوقفت أمام قوله : إنه باعتباره كاتباً ينتمي إلى مدرسة ، وباعتباره قارئاً ينتمي إلى مدرسة أخرى ، كما يتفق أن يشتغل الإنسان بالآلات البصرية ثم يعنى بجمع الآنية الصينية القديمة ... وهو قول يحتمل التأييد والتفنيد على السواء ، ولا ينحصر الاعتراف به في الكاتب الإنجليزي الأشهر وحده بل يتعداه إلى أدباء كثيرين . ولكن هل تختلف عند الكاتب الواحد بوجه عام أهداف الكتابة وأهداف القراءة ؟ وهل يصح مثلاً أن يحيا عقله في دنيا تخالف كل المخالفة أو بعضها تلك التي يحيا فيها بقلبه ؟ وهل ثمة تعليل مقبول لهذا التباين الواضح بين دنيا العقل ودنيا القلم ؟...

هذا ما أرجو أن تتفضلوا بشرحه على صفحات الرسالة الغراء أحد ميادين الأدب الخالد ، وإني الشاكر الحامد ... »

***

والذي نعتقده أن هذه الحالة معقولة لا غرابة فيها ، وليس من وجه لاستغرابها إلا أن نرى أن الإنسان لن يقرأ إلا ليكتب ولن يشتغل بموضوع إلا الذي يشتغل به قراؤه ، وكلاهما مخالف للواقع المشاهد في كل مطلب وكل بيئة .

فمن الناس كثيرون يقرأون ولا يكتبون ، وليس الكاتب ببدع بين القراء في مطالعاته . فيجوز إذن أن يقرأ في موضوعات لا ينوي الكتابة فيها ولا يهمه أن يعقد التفاهم عليها بينه وبين قرائه .

كذلك يصح أن يشتغل الكاتب بشؤون كثيرة لا يشتغل بها قراؤه ومريدوه . فربما كان من هؤلاء القراء من يتاق عنه تجاريبه الخاصة التي يشرح فيها ما جرى له ولا يشرح فيها مطالعاته ومعارض درسه ، وربما كان منهم من يقرأه لأنه حلقة بينه وبين جيل مضى من المؤلفين والكتاب ، فيكون الكاتب حينئذ كالفنطرة الثقافية بين شاطىء وشاطىء مفترقين .

ومن المعهود بيننا أن الشاعر لا يقرأ الشعر دون غيره ، وأن الفيلسوف لا يقرأ الفلسفة دون غيرها ، وأن المصور قد يقرأ الروايات والروائي قد يجمع الصور ويدرس التصوير .

ومن تجاربي التي أعلمها في الكتابة والقراءة أنني أقرأ كثيراً في موضوعات لا أطرقها ولا أنوي أن أطرقها إذا كتبت للتأليف أو للصحافة . ومن هذه الموضوعات طبائع الأحياء وعجائب النبات ورحلات الأقدمين والمحدثين ، وما من خليقة إنسانية أعرفها إلا أحببت أن أقابل بينها وبين نظائرها في عالم الحيوان أو عالم النبات ، ولكني لا أفعل ذلك تمهيداً للكتابة

عنها وإن جاءت الكتابة عرضاً فى بعض المناسبات .

وما زالت المطالعة ملجأ نفسياً للمطالع يأوى إليه ويجب أن يخرج إليه من شواغل دنياه . فالرجل المشغول بالمسائل الطبية أو الاجتماعية أو السياسية يروقه أن يخلو ساعة من الساعات بالشعر أو بالقصة أو بكتاب من كتب الإيمان والعقيدة ، وهو إذا قرأ فى كتب الإيمان والعقيدة لا ينوى من ثم أن ينشر بالدين أو يؤم الناس فى الصلاة ، ولكنه يستريح من حال إلى حال ، ويدع الدنيا هنيهة لينفرد بضميره أو بتفكيره فى مناجاة لا علاقة بينها وبين الناس .

فالاختلاف بين العالم الخاص والعالم العام فى كثير من الأوقات معقول لاغرابة فيه ، ومن قبيل هذا الاختلاف أن يختلف ما نقرأ وما نكتب ، وأن يختلف ما يعنينا وما يعنى قراءنا ، فهم يقرأوننا نحن ونحن لانقرأ أنفسنا ، بل نقرأ غيرنا ولا يلزم أن يكونوا معنا طرازاً واحداً لا تنوع فيه .

لكن ينبغى أن نفرق بين هذا وبين القول بأن الكاتب يعيش فى عالم غير الذى يقرأه ضرورة لا محيص عنها .

فاذا وجد من يقرأ أبا العلاء ويكتب فى القانون فلا مانع ولا شذوذ ، ولكنه لا يحرم عليه أن يقرأ أبا العلاء ويكتب فى الزهد والأخلاق أو العقائد والديانات .

***

ومن البصرة أيضاً جاءتنى رسالة ختمها كاتبها الأديب « الفريد سمعان » من طلبة المدرسة الثانوية بسؤال يقول فيه : « ... هل يكتفى الأديب أو الذى يريد أن يصبح أديباً بمطالعة الكتب التى تصدر فى العصر الحاضر دون الرجوع إلى الكتب القديمة والإعتماد على المخطوطات السالفة ؟ »

وهذا سؤال مفيد .

وجوابه المفيد أن الاكتفاء بأدب العصر الحاضر مستطاع ولكنه ليس بأفضل الحالات .

وتقاس حاجات النفس على حاجات الجسد بغير اختلاف يذكر فى هذا المقام .

فالرجل الذى يكتفى بمحصول أرض واحدة يعيش ويأخذ بنصيبه من الحياة ، ولكنه ليس بأوفى نصيب وليست عيشته الجسدية كعيشة الرجل الذى ينتذى بمحصولات البلاد على تنوعها ويأخذ من كل محصول خير ما يعطيه .

وقد يوجد فى الادباء من يكتب أو ينظم وليس له اطلاع واسع على أدب عصره ولا على آداب العصور الأخرى .

وكذلك يوجد فى أقوياء الأجسام من يأكل الطعام الغث ويستفيد منه لجودة هضمه وانتظام وظائف جسده .

ولكننا عند ما نضع قواعد الصحة وأصول التغذية لا نقول للناس كلوا الطعام الغث واعتمدوا عليه فى تقوية الأبدان وتنظيم وظائف الأعضاء .

وعلى هذا القياس نفسه لا نقول للناس عندما نضع قواعد القراءة وأصول التثقيف والتهذيب إن الاطلاع وترك الاطلاع يستويان .

فالانتفاع بالطعام الغث شذوذ لا يقاس عليه . ومثله فى الشذوذ أولئك الذين ينظمون أو يكتبون ما يحسن أن يقرأه القارىء دون أن يرجعوا إلى أدب العصر أو آداب العصور .

ومما لا مراء فيه أن الرجل الذى ينتفع بالطعام الغث يزداد انتفاعه بالطعام الجزل كلما وصل إليه ، وأن الرجل الذى ينظم أو يكتب بغير اطلاع يترقى فى منازل الأدب كلما استوفى حظه من المطالعة والدرس والمراجعة .

فالاكتفاء بالقليل من الأدب جائز كالاكتفاء بالقليل من كل شىء ، ولكنه القليل فى الحالتين ولن يكون شأنه كشأن الكثير .

ومن الحسن جداً فى هذا الباب أن نذكر أن الأدب قيمة حيوية أو قيمة انسانية قبل أن يكون قيمة لغوية أو قيمة فنية أو تاريخية .

ويعنينا نذكر هذه الحقيقة عن الجدل أو عن اللبس فى كثير من الأمور .

فالذين يقولون إن الطبيعة هى وحى الشاعر الأول الذى لا يحتاج بعده إلى وحى الصناعة :

أو الذين يقولون إن البلبل يوحى إلى الشاعر بتغريده . وإن الوردة توحى إليه بنضرتها ، وإن الشفق يوحى إليه بألوانه وظلاله وخفقات الهواء فيه ...

كل أولئك خلقاء أن يذكروا أن القريحة التى تستفيد من